المحاضرة الرابعة

الحضارة الفينيقية

تمهيد : الفينيقيون فئة من قبائل سامية عرفت بالكنعانيين نزحت عن شبه الجزيرة العربية أواسط الألف الرابع قبل الميلاد، واتّجهت نحو الغرب حيث استقرّت بجوار المتوسّط، وقد غلب اسم بلاد كنعان على المناطق التي حلّت فيها، ... والإغريق هم الذين دعوا فئة منها بالفينيقيين.

وفينيقيا منطقة ساحلية تمتدّ من الشمال على الشاطئ السوري حتّى جبل الكرمل في الجنوب، وفي الشرق تحدّها سلسلة جبال لبنان الغربية، أمّا في الغرب فلها واجهة بحرية عريضة كان لها الفضل في ازدهار الحضارة الفينيقية.

نبذة موجزة عن تاريخ فينيقيا : يتميّز تاريخ فينيقيا بحقبات متقطّعة من الولاء والتمرّد ...

فأمّا الولاء : فمَرَدُّه أمران : **أوّلها** كون فينيقيا عاجزة عدديا وعسكريا عن مقاومة دول كبيرة كالمصريين والأشوريين والفرس ... **ثانيهما** هو الطمع بانفتاح أسواق جديدة أمام تجارتهم.

وأمّا التمرّد : فلم يلجأوا إليه إلا إذا شعروا بأنّ الخضوع للغير يشكّل خطرا على كيانهم.

الفنون والعلوم :

- **فن العمارة** : تقتصر النماذج التي وصلتنا عن فنّ البناء لدى الفينيقيين على الأبنية الدينية من هياكل ومقابر، وقد سلمت لأنها أقيمت بعيدة على المناطق السكنية فسَهُل التنقيب عنها، بخلاف أواسط المدن التي تعاقبت عليها أجيال وشعوب فعمدت كلّ دولة إلى البناء فوق أنقاض سابقتها ممّا تسبّب في اختفاء معالم الأبنية الأولى.
- **النحت** : وقد تجلّى في التماثيل التي كرّم الفينيقيون آلهتهم المختلفة حيث تأثّروا بالنماذج الأجنبية من مصرية وبابلية وإغريقية، واعتمدوا في نحتهم على الحجر الكلسي والرخام والبرونز والذهب والفضّة والعاج والطين المجفّف ...
هذا، وتجدر الإشارة إلى أن الفينيقيين لم يعرفوا فنّاً كنعانيّاً مستقلّاً من حيث موضوعاته وجوهره، بل قد اقتبسوا ذلك عن جيرانهم من مصريين وبابليين وفرس وإغريق وغيرهم ...
- الموسيقى والرقص : شغف الفينيقيون أيضا بالموسيقى والرقص فوضعوا ألحانا واقتبسوا أخرى، واتخذوا من بعض آلهتهم إلاها للرقص لِمَا لهذا الأخير من دور في العبادة على حدّ زعمهم واعتقادهم.
- العلوم : أبدع الفينيقيون في الحساب نظرا للذهنية التجارية التي طُبعوا عليها، وقد قادهم الجشع التجاري إلى ارتياد المتوسّط ومجاهل المحيطات فتعلّموا بذلك بعض ما يتعلّق بالفلك والنجوم والاتّجاه والموقع والأرض وحتّى النبات والحيوان.

- الطبّ : برع الفينيقيون في الطبّ بما يشبه ولا يقلّ خبرة عن أطبّاء مصر وبلاد ما بين النهرين، وقد ساد في اعتقادهم أنّ الإله "أشمون" هو شفيع المرضى، فإذا نُقِش رسمه على صخر لازمته الأفعى رمز الصحّة والحياة الطويلة، وقد بقي أثر ذلك إلى اليوم حيث تُعتبر الأفعى اليوم شارة يعتمدها الأطبّاء والصيادلة، وقد أقيمت أمام معبد "أشمون" بركة يستحمّ فيها المرضى ليشفوا.

  وقد بقي حال الطبّ كذلك إلى أن تطوّرت الأمور فَتَفَلَّتَ الطبّ عن سلطان الكهنة، وصار الطبيب غير الكاهن، ثمّ ظهر ما يسمّى بتشخيص المرضى قبل تعيين العقار المناسب، حيث عُثر على وصفة تصف حال التهاب أنف الجياد، وغير ذلك ...

  هذا، وقد أرجع بعضهم تطوّر الطبّ عند الفينيقيين إلى تأثّرهم بجيرانهم المصريين وبشعوب ما بين النهرين وغيرهم ...